

خطب منبرية للشيخ عبد القادر بن مولود

جمعها: أ. جمال مرسلي

الجــزء الأوّل



6. تقوية الرّوح الدّينيّة

20 رمضان 1379هـ الموافق لـ 18 مارس 1960م

الـحمد لله يـحيي الأمم بعد موتها، ويوقظ العقول بعد سباتها وطول غفلتها، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ مـحمّدا عبده ورسوله الّذي بعثه إلـى النّاس بشيرًا ونذيرًا، وهاديًا إلى ربّه بإذنه وسراجًا منيرًا، صلوات الله عليه وعلـى آله الّذين اهتدوا بهديه وساروا علـى منهاجه القويم.

أمّا بعد: فإنّنا الآن قد انتهينا إلـى الـمنتصف الثّانـي من هذا الشّهر الكريم، ولننظر ماذا ترك فينا من أخلاق وفضائل؟ أو ماذا بعث فينا من جديد تكون قد تكهربت به أرواحنا وزكت نفوسنا؟

فإن كنّا قد انتفعنا بتأدية هذا الواجب فمـا علينا إلّا أن نزيد تـمسّكا بهدي هذا الدّين، وأن نكثر من الطّاعات وأنواع الاستقامة، حتّى ننال القرب من خالقنا، ونصعد إلـى الـمكانة العليا بصالح أعمـالنا.

فإذا أصبحت أعمـالنا بعد ذلك مقبولة فلنستبشر بتأييد الله لنا، وبنصره وعونه علـى جميع أعدائنا؛ لأنّنا إذا نلنا هذه الدّرجة العالية، وحافظنا علـى ديننا وكياننا الاجتمـاعيّ، وتـمسّكنا بقوميّتنا وجميع مقوّماتنا الـحسّيّة والـمعنويّة، فإنّنا نستطيع بعد ذلك أن نخوض غمـارًا حيويًّا جديدًا، ونسلك طريقًا سديدًا، يسير بنا نحو التّقدّم فـي بناء مستقبلنا، وتكوين عظمتنا، وتـمثيل ديننا كمـا أراده الله لنا فـي حياتنا، وغَرْسِهِ فـي نفوسنا ونفوس ناشئتنا.

لأنّ هذه الرّوح الدّينية لو وُجِدت فـي جميع أفراد هذه الأمّة لأمكن لنا أن نخلق جوًّا مليئا بأنواع القوّة والسّعادة، ولأصبحنا مصدر النّور ومركز الضّياء، نشعّ به علـى غيرنا أنواعًا من الضّياء جديدة، ننقذ الإنسانيّة مـمّـا يـحيط بها من أنواع الآلام والشّقاء.

لأنّ هذه الأمم الـمتكالبة اليوم أصبحت كلّها تدين بالقوّة الـمـادّيّة الّتي طغت علـى روحها وعقلها وتفكيرها، فعمّت الكارثة علـى الأمم الضّعيفة من سكّان هذه الأرض، وأصبح الكثير منها يعانـي آلام الفقر والشّقاء بسبب جشع الـجبابرة الـمتكالبين، الّذين امتصّوا دماءهم، وحطّموا جميع معنويّاتهم، ورموا بهم فـي ظلمـات بعيدة عن النّور، ليعيشوا عبيدًا أذلّاء تـحت نير طغيانهم واستبدادهم.

فلو كان هناك وازع دينيّ أو أخلاقيّ أو كانت هناك إنسانيّة حقيقيّة لاشترك الـجنس البشريّ كلّه فـي تشييد وتبادل الـمنافع، ولعمّ التّآزر والتّآخي، ولتحقّقت جميع الـمرافق البشريّة الّتي تـحفظ العزّ والكرامة من الضّياع والفناء.

ولكن شاءت حكمة الله أن تنشأ هذه الكمـاليّات إلّا من ضدّها، فإذا كانت هذه الأراذل البشريّة تعيش كمـا تعيش الـجراثيم الفتّاكة الّتي تسعى دائمًـا فـي تـخريب الـجسم وتهديم كيانه، فهناك يظهر الأطبّاء الـمـاهرون لإجراء ملاحظاتهم وأنواع تـجاربهم، ليكتشفوا أنواعًا جديدة لتحطيم هذه الـميكروبات العالقة بأجسام البشريّة، فيفتكوا بها ويبيدوها.

وفـي تلك اللّحظة يستطيع الـجسم أن يعيد قوّته ويـجدّد معنويّاته، ويبدأ فـي الـحركة الّتي تزيده رغبة فـي مواصلة سيره، حتّى يستطيع أن يؤسّس حياة جديدة ترفع مستواه الدّينيّ، والعلميّ، والأدبـيّ، والاجتمـاعيّ.

وهناك تظهر الـحكمة الإلـهيّة فـي إظهار هذا النّور لتبديد أنواع الظّلمة وإزالتها، وتصبح الإنسانيّة بعد ذلك تتنعّم فـي ظلٍّ من الرّخاء والعدل، حتّى يمكن لـها أن تؤدّي رسالتها الدينيّة والأدبيّة كاملة فـي هذه الـحياة.